

محاور الموضوع الرئيسية:

- الفقر أحد الروابط التي توثق العلاقة بالله تعالى.
- فقر النفس أخطر أنواع الفقر، ومن هو الفقير حقاً.
- الفقر هيئ مع الرضا والصبر.

الهدف: بيان معنى الفقر.

تصدير الموضوع:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: الآية ١٥).

قد يستعمل الفقر على أربعة وجوه:

الأول: معنى الإمكان في

الموجودات، وحاجتها إلى بارئها

في أصل وجودها وفي استمرار

بقائها. وذلك عام للإنسان

ما دام في دار الدنيا، بل عام

للموجودات كلها. وعلى هذا

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ

الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ﴾^(١).

وهذا الفقر باعتباره في أصل

الخلقة والتكوين، فهو واحد من

المنبهات العظيمة للإنسان

(١) (فاطر: الآية ١٥).

لتوثيق روابطه وعلاقته بالله

سبحانه وتعالى. ولكن الإنسان

- لشدة انشغاله بالدنيا - كثيراً

ما يذهل عن هذا الفقر ويشغل

بالمصادر الحسية المباشرة

للسائل التي تلبّي حاجاته.

الثاني: غياب المقتنيات التي

تستجيب للحاجات المباشرة

من المأكل والملبس والسكن

وما شابهها. وهو المعين في

قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ

الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ

يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ

التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا

يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾^(٢) وفي

قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ

لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ

عَلَيْهَا﴾^(٣).

وهذا المعنى هو الذي ينطبق

على الفهم اللغوي والمصطلح

المتبادر عند إطلاقه، والذين

يتصفون به هم الذين يبشرون

بثواب الآخرة والمنزلة العظيمة

لقاء الصبر والرضا بما قسم

الله عز وجل، كما سيأتي في

(٢) (البقرة: ٢٧٣).

(٣) (التوبة: ٦٥).

الأحاديث.

الثالث: فقر النفس، وهو الشره

الذي يسيطر على الإنسان،

فلا يعود يشعر بالكفاف ولو

استحوذ على مال الدنيا كلها.

وهو الخصلة المذمومة المعنية

في الأحاديث المختلفة، مثل قول

- الإمام الحسن (عليه السلام) - لما

سُئل عن الفقر: «شره النفس إلى

كل شيء»^(٤)، وقول الإمام أمير

المؤمنين (عليه السلام): «الفقر الموت

الأكبر»^(٥).

أو ما يوجب اختلال التوازن

العقلي ويؤدي إلى انعدام الصواب

في النظرة إلى الحياة، قال

الإمام الصادق (عليه السلام): «الفقر

الموت الأحمر»، فقيل له: الفقر

من الدنانير والدرهم؟ قال: لا،

ولكن من الدنيا»^(٦)، أو قول رسول

الله ﷺ في وصيته لعلي (عليه السلام):

«الفقر الموت الأكبر، فقيل له:

الفقر من الدينار والدرهم؟

فقال: الفقر من الدين»^(٧).

الرابع: الشعور بالحاجة إلى

(٤) (تحف العقول/٢٢٥).

(٥) (نهج البلاغة/الحكمة ١٦٣).

(٦) (معاني الأخبار، ص ١٢/٢٥٩).

(٧) (بحار الأنوار، ٧٧٢/ص ٦٣/٤٢).

إليه يصعد الكلم الطيب

واجب الوجود وصاحب الخزائن التي لا تنفد، والذي يعني امتلاء النفس ثقة بالله تعالى وهذا يؤدي إلى الاستغناء التام عن الناس وما في أيديهم، وهذا هو المشار إليه في قوله ﷺ: اللهم أغني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك». وهذا ما عناه الشاعر بقوله:

ويعجبني فقري إليك ولم يكن
ليعجبني لولا محبتك الفقرُ
الفقر هين مع الصبر والرضا:

عن النبي ﷺ: «يا معشر المساكين، طيبوا نفساً، وأعطوا الله الرضا من قلوبكم، يثبكم الله عز وجل على فقركم»^(١).

وعنه ﷺ: «طوبى للمساكين بالصبر، وهم الذين يرون ملكوت السماوات والأرض»^(٢)، وعن أمير المؤمنين ﷺ: «ملوك الدنيا والآخرة الفقراء الراضون»^(٣).

وقد قال الصادق ﷺ لمحمد الخزاز: أما تدخل السوق، أما ترى الفاكهة تباع والشيء مما تشتهي؟ فقلت: بلى. فقال: «أما إن لك بكل ما تراه فلا تقدر على شراء حسنة»^(٤).

وعن النبي ﷺ: «أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر»^(٥). ويبدو أن ذلك مما يقوِّي صبر المسلم الفقير. والظاهر أن أكثر ما يبعث الرضا في قلب الفقير المسلم ويشد من أزره هو اتكاله على الله تعالى. فعن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله، وأحسن منه تيه الفقراء على - ولعله عن - الأغنياء اتكالاً على الله»^(٦).

فمن هو الفقير حقاً؟

سأل النبي ﷺ يوماً: «أيها الناس ... ما الصلوك فيكم؟ قالوا: الرجل الذي لا مال له. فقال: بل الصلوك حق الصلوك من لم يقدم من ماله شيئاً يحتسبه عند الله، وإن كان كثيراً من بعده»^(٧). يعني أنه لم يقدم من ماله في حياته شيئاً يُثاب به عند الله، وإن قدّم ورثته أو أوصى بأن يقدم الكثير من المال في سبيل الله بعد وفاته.

وعن رسول الله ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟ فقيل: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع له. فقال:

المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فتيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار. بل قد يقال: إن المفلس حقيقة هو هذا»^(٨).

الفقراء مع الأنبياء ﷺ:

عن رسول الله ﷺ: «يا معشر الفقراء، إن الله رضي لي أن أتأسى بمجالسكم، فقال: واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، فإنها مجالس الأنبياء قبلكم»^(٩).

وعنه ﷺ: «الفقراء ملوك أهل الجنة، والناس كلهم مشتاقون إلى الجنة والجنة مشتاقة إلى الفقراء»^(١٠).

وعنه ﷺ - لما سأله أبو ذر: الخائفون الخاشعون المتواضعون الذاكرون الله كثيراً يسبقون الناس إلى الجنة؟ - قال: «لا، ولكن فقراء المؤمنين يأتون فيتخطون رقاب الناس»^(١١).

(٨) (البحار/٧٢/٢)

(٩) (كنز العمال / ١٦٦٥٤٢)

(١٠) (البحار / ٧٢ / ٥٨/٤٩)

(١١) (البحار / ٧٢ / ٨٥/٥٤)

(٥) (بحار الأنوار/ج ٧٧/ ص ١٨٧/١٠٢)

(٦) (نهج البلاغة / الحكمة ٤٠٦)

(٧) (البحار/٧٧ / ٨٦/١٥٠)

(١) (بحار الأنوار/ج ٧٢/ ص ١٧/١٠٢)

(٢) (الكافي/ج ٢ / ص ٢٦٢/١٣٢)

(٣) (غرر الحكم/ الحكمة ٩٨١٦)

(٤) (بحار الأنوار/ج ٧٢/ ص ٢٥/١٩٢)